سلام

عاد الى نغمته القديمة في انتقاد الأولاد:

-هذه الحياة التي يحيونها غير طبيعية.. أن يضيعوا أشهر الفرصة في المسابح والسينما والسهر حتى منتصف الليل ويفيقوا عند الظهر..

-ياعفيف، لماذا تعطى الفرصة؟ أليس للإستجمام كي يستردّ الإنسان قوته وحوافزه ويواصل سيره فيما بعد؟ رفاقهم يذهبون الى البحر والمصايف، فهل ننكر عليهم أن يقوموا بعمل إضافي ليوفروا علينا نفقات لهوهم؟ لا أحد من جيلهم يرغب في تربية متزمتة، أليس نذيرا لنا أن نجعل سلام تقفز من فوق هاوية؟

-ما كان يجري ماجرى لولاك!

-أسبوع ورأسي يدور كلما فكرت في الأمر، ماذا لو انزلقت رجلها ووقعت وفقدناها الى الأبد؟

-أنت الملومة، أنت لم تقفي الموقف الحازم، كان واجبك أن تكوني قربها تعيديها الى صوابها.. واحد يشدّ وواحد يرخي.. هكذا تفعل الزوجات الحكيمات.. جلست قربي وفقدت أعصابك وأخذت في البكاء "أيام أعياد وأولادنا مشردون!"

-هل كان يخطر لي أن تفعل ما فعلت؟

-ما كانت لتفعله لو كنت قربها تنصحينها..

-كنت ألملم حواسي.. لم يكن من مبرر لماجرى..

-بل هناك مبرر أن أؤدب أولادي من حين لآخر..

-ماذا فعلوا ؟ انك تتصرّف تصرّفا انفعاليا..

-لم يكن تصرّفي انفعاليا.. كنت أريد أن أضع حدا لحياة العبث التي يحيونها.. كان غضبي في مكانه.. ولكن حماقتك أفسدت كل شيء..

-أنا أعطيتهم الإذن بالذهاب! أطفئ النور وكانوا على سطح الكاراج في العتمة، ثم جاءت رفيقتهم لزيارتهم فوجدوا أن من الأفضل أن يتجولوا قليلا ويأخذوا معهم الفيلم للتحميض.. لم يتأخروا كثيرا.. كنت مستلقيا فجئت واستلقيت قربك أنتظر عودة الكهرباء

ثم غلبني النوم.. لم أفهم ماجرى.. انتفضت من فراشي على صراخك لأراك تنهال عليها ضربا.. أهكذا تعامل فتاة رائعة قاربت العشرين؟

-كان يمكنك أن تخبريني هذا بيني وبينك فيما بعد ولكن كان عليك أن لا تعترضي طريقي، بل تقفي بجانبي!..

-أي مبرر لهذا العنف؟ لم يحدث أنك تصرفت هكذا معها من قبل! أنا أذنت لهـم، ومن أكون؟ وما قيمة وجودي في البيت ان لم يكن لي الحق أن آذن لهم؟ كأنمـا كنـت تذنبني أنا الأخرى لأنني لم أحسن تربيتهم!..

-أنا سيد البيت المطاع، يجب أن تفهمي أنني لن أتنازل عن سيادتي مطلقا!

-لا أحد ينازعك السيادة.. ولكنني أرى أن قبضتك قاسية وأسلوبك خطر لا أعرف الى أين يؤدي..

-لن يؤدي الى نتائج سيئة لو كنت تقفين الى جانبي ولا تعارضيني..

-أولادنا لا يضربون.. جرحت كبرياؤهم، ولن يندمل جرحهم بسهولة.. ليس كـل الأبناء يضربون.. انهم مستقبلنا، وما كنت أريد لك أن تظلمهم وتذلهم!

-كأنما أحمل العصا في دخولي وخروجي!

-يكفي أن تفعل هذا مرّة واحدة لتخسر ثقتهم، وتضع حاجزا سميكا بينك وبيـنهم.. انهم يحسون أنك لا تفهمهم، وترفض رفضا باتا أن تعترف بفارق الأربعين عامـا بينـك وبين كبراهم، وتريد أن تدفعهم الى الإكتهال قبل الأوان، ولا تسمح لهم بهنات شـبابهم.. انني أرى أن بعض المرح من حقهم، ونحن نجرم دون علمنا، لو زرعنـا الكآبـة فـي نفوسهم بحياة صارمة كحياة الرهبان، على أن لا يتجاوزوا حدودهم ويكون المرح عائقـا لنجاحهم..

* * *

حوار عن الزواج

تحدثنا عن الزواج فقال:

-طريقة الزواج القديمة أفضل من الحديثة..

-لماذا؟

-طريقة الزواج القديمة كانت مبنية على أسس سليمة.. مدروسة من الأهل.. معرفة وثيقة بين أسرتين، من بيئة واحدة ومن تفكير واحد، ومن أهداف في الحياة متشابهة. وفي مثل هذه البيئة يحدث الإنسجام على الغالب بين الزوجين.. الطريقة الحديثة عـودة الـى الحيوانية.. العاطفة البدائية هي التي تسيطر في الزواج.. رجل يشتهي امـرأة، وامـرأة تشتهي رجلا.. الزواج لا يبنى على الجنس وحده.. ليس هذا هو الحب الذي يبنى عليـه الزواج!

-هل الزواج القديم كان فيه سعادة؟

-على كل حال كان الطلاق عندنا أقلّ بكثير مما يحدث في أوروبا..

-السبب أن الرجل كان حين لا تعجبه المرأة ولا ينسجم معها أن يتزوج أخرى، فاذا لم ينجح زواجه الثاني كان يجرب للمرة الثالثة والرابعة ان كان ماليا قادرا علـى فعـل ذلك، أو يعيش في نكد دائم معها ان لم يكن كذلك..

-والرجل في أوروبا ان لم تعجبه المرأة يأتيها بمائة عشيقة!

-هناك تعادل، أما عندنا فكل شيء يجري على حساب المرأة.. والطلاق الذي أبيح للمرأة والرجل في أوروبا المسيحية هو أفضل من حياة تعيسة..

ضرب لي مثلا بزواج أقرباء فشل زواجهم لأنهم جعلوا الحب المتبادل بينهما أساس علاقتهم دون اعتبار للبيئة ونمط التفكير وتشابه الأهداف فقلت له:

-لا تقدر أن تعمم وتأتي بمثل هذه الأمثال.. فالعزلة التي فرضها مجتمعنـا بـين الجنسين، والسن الصغيرة التي يزوجون بها الفتاة قبل نضوج عاطفتها، وضيق المجـال الإجتماعي عندنا للتعرف على الطرف الآخر تجعل الشباب عندنا من كلا الجنسين يطبّون بسرعة ويتصرفون "بجدبنة"..

-لا تضعي في ذهن سلام أن تتصرف على خاطرها فتـأتيني ذات يـوم بثـور!.. الموت أحسن!..

-لا تخف عليها.. ذكية وتفهم وتقدّر.. لا يملأ رأسها أيا كان، من أين تختار الفتـاة بنفسها؟ من وسطها الذي تتعرف اليه، من جامعتها، من هو في سنها، أو أكبر عامـا أو عامين..

-أليس هناك سوى جامعتها؟

-العائلات الصديقة لأهلها.. وبما أننا لا نتزاور كثيرا مع عائلات أصدقائك فلـيس هناك اختيار لها الاّ جامعتها، شاب تتناسب ثقافته مع ثقافتها..

-ليست الثقافة كل شيء، يجب أن يرى الإنسان الوسط الذي طلع منه والبيئة التـي برز منها.. الشغلة بدها دراسة!

-طيب، هل عندك وسط أفضل؟ المجتمع القديم غاب من الساحة، والمجتمع الجديد في حالة التكوّن.. لن نستطيع بظروفنا أن نقدّم لها وسطا شبيها بوسطنا..

-بعد بكير.. عندما يحين الوقت أفكر في.. الآن عليها أن تنهي دراسـتها، وتكـون قوية، وكل ما كانت قوية تكون الفرص أمامها أفضل..

- طبعا بعد بكير الحديث في هذا.. لا نريد قبل بضعة سنين.. وبعدئذ هذه حياتها لا حياتنا، يكون لنا رأي فيمن تختار ولكن ليس من حقنا أن نفرض أحدا عليها..

-معنى هذا أن نكون كتلة مهملة في البيت.. للعلم فقط!

-هذا صديقك.. أهو اختار الأزواج لبناته؟ هن اختـرن وهـو أبـدى رأيـه فـي اختيارهن.. أتذكر كم كان مهموما من أجلهن وهو في الغربة؟ المهندسة تزوجت مهندسا والطبيبة طبيبا.. طبعا ابنتنا تعرف أننا نريد صالحها، وأزواج بناتنا وزوجات أبنائنا نريد أن يكون بيننا وبينهم انسجام.. فان أساءوا الإختيار نضطر لقطيعتهم، فيـدفعون الـثمن غاليا.. نحن لا نريد أن نقاطعهم ونعزلهم عنا.. تعبنا كثيرا في تربيتهم وعلينا أن نثق بهم وبحكمتهم في تدبير أمورهم فهم يعرفون من حولهم عن كثب أكثر منا فـاذا صـادفتهم متاعب التجأوا الينا وأفضوا لنا بمكنون قلوبهم وأسرارهم دون وجل.. أنت مثلهم الأعلى يا عفيف، ومنك تعلموا الصدق والإستقامة، ولكن طبيعتك الصارمة لا تجعلهـم يملكـون الشجاعة للحوار معك!

-لو كنت تقومين بواجبك تجاههم لما كانت لهم مشاكل يؤاخذون عليها!..

* * *